دفع التعارض بين حديث (بعث الناس بثيابهم) وحديث (حشر الناس عراة)

د. أحمد بن يحيى بن أحمد الكندي

قسم العلوم الإسلامية كلية التربية جامعة السلطان قابوس ، سلطنة عمان

abuyahya101@gmail.com

الخلاصة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الأحاديث الصحيحة التي دلت على حشر الناس بثيابهم، والمعارضة لها التي دلت على حشر الناس عراة، وبيان طرق دفع التعارض بين هذه الأحاديث، وقد تبين لنا أن العلماء اختلفوا في نظرتهم لهذه الأحاديث إلى أقوال ثلاثة؛ الأول منها، تأويل الثياب في الحديث على الأعمال، بمعنى أنهم يبعثون على أعمالهم التي ماتوا عليها، وقد رجحنا هذا القول لتضافر الأدلة اللغوية والتفسيرية والحديثية عليه، والثاني ، الجمع بينها، واختلفوا في وجوه الجمع ، منها: يحشرون عراة إلا الشهداء، ومنها أن بعضهم يحشر عاريا وبعضهم كاسيا، ومنها أنهم يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الأنبياء فأول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومنها أنهم يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر، والثالث، أخذ حديث أبي سعيد على ظاهره وترجيحه على حديث حشر الناس عراة ، ولا مرجح لذلك.

الكلمات المفتاحية: الحديث، التعارض، حشر، عراة، تأويل.

Refuting the contradiction between the hadith (People were sent with their clothes) and the hadith (People will be gathered naked)

Dr. Ahmed bin Yahya bin Ahmed Al Kindi

Department of Islamic Sciences, College of Education, Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman

Abstract:

This study aims to identify the authentic hadiths that indicate that people will be gathered in their clothes. And the opposition to it, which indicates the crowding of people naked, and an explanation of ways to repel the contradiction between these hadiths. And it became clear to us that the scholars differed in their view of these hadiths, according to three sayings. The first of them is the interpretation of the clothes in the hadeeth on deeds, meaning that they are resurrected for the deeds they died on, and we have preferred this saying to the combination of linguistic, explanatory and hadeeth evidence on it, and the second is combining them, and they differed in the faces of the combination, including: they are gathered naked except for the martyrs, and among them is that some of them He will be gathered naked and some of them clothed, and among them is that they will all be gathered naked, then the prophets will be clothed, so the first one to clothe Abraham, peace and blessings be upon him, and among them will be that they come out of the graves with the clothes in which they died and then they will be scattered from them at the beginning of the gathering, and the third, taking the hadith of Abi Saeed on its face and giving preference to the hadith of the gathering of people Naked, nor so weighted.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن أحوال يوم القيامة من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها، وقد أخبرنا الله عن بعضها عن طريق الوحي، ومنها حال الناس عند بعثهم من قبورهم وحشرهم، فقد جاءت أحاديث تدل على أن الناس يحشرون بثيابهم، وأخرى دلت على حشرهم عراة، وقد جاءت هذه الدراسة لدراسة حديث أبي سعيد الخدري حيث لما حضره الموت، دعا بثياب جدد فلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها»، والأحاديث التي عارضت هذا الحديث والتي دلت على حشر الناس عراة ووردت عن عدد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وستجيب هذه الدراسة عن الأسئلة التالية:

١. ما الأحاديث الصحيحة التي دلت على حشر الناس بثيابهم؟
٢. ما الأحاديث الصحيحة التي دلت على حشر الناس عراة؟
٣. ما طرق دفع التعارض بين هذه الأحاديث؟

أهداف البحث:

١. التعرف على الأحاديث الصحيحة التي دلت على حشر الناس بثيابهم.
٢. التعرف على الأحاديث الصحيحة التي دلت على حشر الناس عراة.
٣. بيان طرق دفع التعارض بين هذه الأحاديث.

منهج البحث:

١. المنهج الاستقرائي بجمع الروايات والتي ستقتصر على الأحاديث الصحيحة فقط .
٢. المنهج النقدي، بدراسة هذه الأحاديث من جهة متنها، والنظر في كيفية فهم هذه الأحاديث والتوفيق بينها.

مخطط الدراسة:

المطلب الأول: جمع روايات حديث يحشر الناس بثيابهم

المطلب الثاني: جمع روايات حديث يحشر الناس عراة.

المطلب الثالث: دفع التعارض بين الأحاديث.

المطلب الأول

روايات حديث (حشر الناس بثيابهم)

حديث ابي سعيد الخدري:

عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدري، أنه لما حضره الموت، دعا بثياب جدد فلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها».

وروي هذا الحديث من طريقين: الأول: من طريق ابن أبي مريم، أخبرنا يحيى بن أيوب، عن ابن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدري. (عبدالحميد)_(الأرنؤوط، ١٩٩١)_(عطا، ٢٠٠٣)

وهذا الطريق فيه يحيى بن أيوب وهو الغافقي المصري، جمع ابن حجر في كتابه التهذيب أقوال علماء الجرح والتعديل فقال: قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: سيء الحفظ ،وهو دون حيوة وسعيد بن أيوب، وقال ابن معين: صالح، وقال مرة: ثقة، وقال بن أبي حاتم سئل أبي، يحيى بن أيوب أحب إليك أو بن أبي الموال؟ فقال: يحيى بن أيوب أحب إلى ومحل يحيى الصدق يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال الآجري قلت لأبي داود: بن أيوب ثقة؟ فقال: هو صالح، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال مرة: ليس بالقوي، وذكره بن حبان في الثقات، وقال بن سعد: منكر الحديث، وقال الدارقطني: في بعض حديثه اضطراب، وقال الترمذي: عن البخاري ثقة، وقال يعقوب بن سفيان: كان ثقة حافظا، وقال الإسماعيلي: لا يحتج به، وقال إبراهيم الحربي: ثقة، وقال الساجي: صدوق يهم، كان أحمد يقول يحيى بن أيوب يخطىء خطأ كثيرا، وقال الحاكم أبو أحمد: إذا حدث من حفظه يخطىء، وما حدث من كتاب فليس به بأس، وذكره العقيلي في الضعفاء، قال ابن عدي: ولا أرى في حديثه إذا روى عن ثقة حديثا منكرا وهو عندي صدوق لا بأس به. (العسقلاني، ١٣٢٦ هـ)ولخص هذه الأقوال في التقريب فقال: صدوق ربما أخطأ. وتعقبه صاحبا التحرير فقالا: بل صدوق. (عواد)

وعلى هذا فحديثه مقبول وحكم عليه البعض بالصحة، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين (الحاكم) وعلق شعيب الأرناؤوط على إسناده فقال: على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير يحيى بن أيوب وهو الغافقي المصري، فقد احتج به مسلم، وروى له البخاري في الشواهد، ثم هو مختلف فيه (الأرنؤوط، الاحسان في تقريب صحيح ابن حيان).

الثاني: من طريق عبدالرزاق الصنعاني عن ابن جريج، عن رجل، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أنه حضر أبا سعيد الخدري وهو يموت، فقال أبو سعيد: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها» ، ثم قال أبو سعيد: قد أوصيت أهلي أن لا يتبعوني بنار، ولا يضربوا على قبري فسطاطا، واحملوني على قطيفة أرجوان (الاعظمي، ١٤٠٣ هـ)

وتابع عبدالرزاق، حجاج، عن ابن جريج قال: حدثت عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه حضر أبا سعيد وهو يموت، مثله. (الربعي، ١٩٨٦، صفحة ٧٧)

إلا أن هذا الطريق فيه رجل مجهول لم يسمَّ .

الشواهد:

١. ما روي عن معاذ بن جبل أنه أوصى امرأته، وخرج، فماتت وكفناها في ثياب لها خلقان، فقدم بعد أن رفعنا أيدينا عن قبرها بساعتين، فقال: «فيما كفنتموها؟» ، قلنا في ثيابها الخلقان، فنبشها وكفنها في ثياب جدد، وقال: «أحسنوا أكفان موتاكم، فإنهم يحشرون فيها»(الحوت، ١٤٠٩)

من طريق زيد بن الحباب، قال: أخبرنا معاوية بن صالح، قال: حدثنا سعيد بن هانئ، عن عمير بن الأسود السكوني، أن معاذ بن جبل. وهذا الإسناد صحيح فرواته ثقات، وزيد بن الحباب، قال ابن حجر: صدوق يخطيء في حديث الثوري. (حجر، ١٩٨٦، صفحة ٢٢٢)وهنا لا يروي عنه، ومعاوية بن صالح هو ابوعمرو الحمصي، قال ابن حجر: صدوق له أوهام. (حجر، ١٩٨٦، صفحة ٥٣٨) قال صاحبا التحرير: بل: ثقة، وثقه الأئمة: أحمد بن حنبل، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو زرعة الرازي، والعجلي، والنسائي، وابن سعد، والترمذي، والبزار. (عواد، صفحة ٣٤٩/٣)

٢. عن ابي ذر قال: حدثني الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: " إن الناس يحشرون ثلاثة أفواج: فوجا طاعمين كاسيين راكبين، وفوجا يمشون ويسعون، وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم إلى النار"... . مع اختلاف في بعض الألفاظ وبعض الزيادات غير المؤثرة، فرواية ابن أبي شيبة مثلا فيها: قال أبو ذر: أيها الناس, قولوا ولا تختلفوا فإن الصادق المصدوق حدثني أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج: فوج طاعمون كاسون راكبون , وفوج يمشون ويسعون , وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم.__(ابن ابي شيبة)_(ابن حدبل)_(النسائي، ١٩٨٦)

قال الحاكم: صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وعلق الذهبي فقال: على شرط مسلم إلا أنه منكر.

وقال البزار: هذا الكلام لا نعلمه يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، ولا نعلم روى حذيفة بن أسيد، عن أبي ذر إلا هذا الحديث.

قال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي، الوليد بن جميع –وهو الوليد بن عبد الله بن جميع– روى له مسلم، وهو صدوق لا بأس به، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين. (حاشية مسدد احمد)

وعلى ما سبق نرى بأن هذه الأحاديث الثلاثة صحيحة وهي في نفس الموضوع لباس الناس يوم المحشر ، ويفهم منها أن الناس يحشرون يوم القيامة بثيابهم.

المطلب الثاني

الأحاديث المعارضة (حشر الناس عراة)

هناك أحاديث رويت في هذا الموضوع دلت على الناس يحشرون عراة بدون لباس، ومنها:

١. حديث ابن عباس رضي الله عنهما : عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " إنكم محشورون حفاة عراة غرلا، ثم قرأ: {كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين} [الأنبياء: ١٠٤] ، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن أناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول أصحابي أصحابي، فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح ": {وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني} [المائدة: ١١٧]- إلى قوله - {العزيز الحكيم} [البقرة: ١٢٩]. (الناصر، ١٤٢٢) (عبدالباقي، ١٩٧٥) (النسائي، ١٩٨٦).

قال البغوي في شرح السنة معلقا على حديث ابن عباس: هذا حديث متفق على صحته (شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ١٩٨٣).

٢. حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تحشرون حفاة عراة غرلا» قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: «الأمر أشد من أن يهمهم ذاك» (النيسابوري) وعند مسلم فيه: قال صلى الله عليه وسلم: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض». -وفي رواية النسائي (النسائي، ١٩٨٦)، فقالت عائشة: فكيف بالعورات؟ قال: {لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه}

٣. حديث عبدالله بن أنيس: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يحشر الله العباد أو الناس عراة غرلا بهما» قال الناس: فما بهما؟ قال: «ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمع من بعد كما يسمع من قرب، أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده مظلمة، حتى أقصه منه» ، قلت: وكيف وإنما نأتي الله عراة غرلا بهما؟، قال: «بالحسنات وبالسيئات» (عادل بن يوسف العزاوي احمد بن فريد المزيدي، ١٩٩٧).

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (الحاكم، المستدرك على الصحيحين، صفحة ٤٧٥)، وقال ابن أبي عاصم معلقا على الحديث: حديث صحيح وإسناده حسن أو قريب منه، وبعد تفصيله في الحكم على الروايات قال: ومن هذا التخريج يتبين للبصير أن الحديث صحيح بمجموع طرقه الثلاثة (ابن ابي عاصم، ١٤٠٠ هـ)، قال شعيب الأرنؤوط:إسناده حسن (ابن حدبل)

١. رواية أم سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يحشر الناس يوم القيامة عراة، حفاة» . فقالت أم سلمة: فقلت: يا رسول الله، واسوأتاه، ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: «شغل الناس» . قلت: ما شغلهم؟ قال: «نشر الصحف، فيها مثاقيل الذر، ومثاقيل الخردل» (اباد).

قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير محمد بن موسى بن أبي عياش، وهو ثقة (الهيثمي).

المطلب الثالث

دفع التعارض بين هذه الأحاديث

المعلوم بداهة أن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم لا يناقض بعضه بعضا ولا يضاربه، يقول الخطيب:" كل خبرين علم أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بهما فلا يصح دخول التعارض فيهما على وجه، وإن كان ظاهرهما متعارضين، لأن معنى التعارض بين الخبرين والقرآن من أمر ونهي وغير ذلك، أن يكون موجب أحدهما منافيا لموجب الآخر، وذلك يبطل التكليف إن كانا أمرا ونهيا وإباحة وحظرا, أو يوجب كون أحدهما صدقا والآخر كذبا إن كانا خبرين، والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن ذلك أجمع، ومعصوم منه باتفاق الأمة" (البغدادي، صفحة ٤٣٣).

وبالنظر الى الأحاديث التي بين أيدينا، والرجوع إلى اقوال العلماء، نجد بأنها انحصرت في اقوال ثلاثة :

القول الآول: يرى بان لا تعارض بينهما ، وأنهما موضوعان مختلفان لا علاقة لأحدهما بالآخر.

فقد أنكرت عائشة رضي الله عنها على أبي سعيد الخدري عندما بلغها فهمه للحديث وقالت: يرحم الله أبا سعيد إنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم عمله الذي مات عليه، قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس حفاة عراة غرلا (الزركشي، ١٩٧٠، صفحة ١٣٢)

فعائشة رضي الله عنها ترى بأنه فهم الحديث على ظاهره، وأن الثياب هي اللباس ، بينما ترى رضي الله عنها أن المعنى مؤول، وأن المقصود بالثياب هنا العمل.

وبهذا قال كثير من العلماء منهم ابن حبان حيث قال: قوله عليه السلام: "الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها"، أراد به في أعماله كقوله: جل وعلا {وثيابك فطهر} يريد به وأعمالك فأصلحها لا أن الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها إذ الأخبار الجمة٢ تصرح عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا. (حبان، صفحة ٣٠٨/١٦)

ويرى هذا أيضا الخطابي فقال: أما أبو سعيد فقد استعمل الحديث على ظاهره، وقد روي في تحسين الكفن أحاديث وقد تأوله بعض العلماء علي خلاف ذلك فقال معنى الثياب العمل، كنى بها عنه يريد أنه يبعث على ما مات عليه من عمل صالح أو عمل سيء، قال: والعرب تقول فلان طاهر الثياب إذا وصفوه بطهارة النفس، والبراءة من العيب، ودنسُ الثياب إذا كان بخلاف في ذلك، واستدل في ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم: تحشر الناس حفاة عراة، فدل ذلك على أن معنى الحديث ليس على الثياب التي هي الكفن. (الخطابي، صفحة ٣٠١/١)

قال التوربشتي: ذهب الجمهور من أصحاب المعاني– لا سيما المحققون منهم–: أن الثياب في قوله – صلى الله عليه وسلم –: (الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها) –: كناية عن الأعمال التي يموت عليها، كقوله – صلى الله عليه وسلم –: (يبعث العبد على ما مات عليه) أي: على ما مات عليه من عمل صالح أو سيء؛ والعرب تكنى بالثياب عن

الأعمال؛ لملابسة الرجل بها ملابسته بالثياب، واستدلوا بقوله – صلى الله عليه وسلم –: (يحشر الناس حفاة عراة)، قالوا: وأبو سعيد فهم من كلامه – صلى الله عليه وسلم – ما دل عليه الظاهر؛ فغاب عنه مفهوم الكلام. (التوربشتي، ٢٠٠٨)

ويؤيد هذا القول:

١. أن له له دليلا من اللغة، قال ابن فارس: الثاء والواو والباء قياس صحيح من أصل واحد، وهو العود والرجوع. يقال ثاب يثوب إذا رجع. والمثابة: المكان يثوب إليه الناس، والثوب الملبوس محتمل أن يكون من هذا القياس ; لأنه يلبس ثم يلبس ويثاب إليه. وربما عبروا عن النفس بالثوب، فيقال هو طاهر الثياب. (فارس، ١٩٧٩، الصفحات ٣٩٣/١-٣٩٥)
٢. وعلى هذا فسر كثير من المفسرين معنى الثياب في قوله تعالى (وثيابك فطر) ، قال السيوطي: وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن أبي رزين {وثيابك فطهر} قال: عملك أصلحه كان أهل الجاهلية إذا كان الرجل حسن العمل قالوا: فلان طاهر الثياب، وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: {وثيابك فطهر} قال: وعملك فأصلح. (السيوطي، صفحة ٣٢٦/٨)

ونقل ابن رجب هذا المعنى عن ابن عباس، ومجاهد، والشعبي، وقتادة، والضحاك، والنخعي، والزهري، وسعيد بن جبير وغيرهم، وقال: فكنَّى بالثيابِ عن الأعمالِ، وهي الدِّينُ والتقوى والإيمانُ والإسلامُ، وتطهيرُه: إصلاحُه وتخليصُه من المفسداتِ له، وبذلك تحصلُ طهارةُ النفسِ والقلبِ والنيةِ، وبه يحصلُ حسنُ الخُلُقِ، لأنَّ الدِّينَ هو الطاعاتُ التي تصيرُ عادةً ودَيْدنًا. (ابن رجب، ٢٠٠١، صفحة ٥٠٥/٢)

وقال ابن عطية: واختلف المتأولون في معنى قوله وثيابك فطهر، فقال ابن سيرين وابن زيد بن أسلم والشافعي وجماعة: هو أمر بتطهير الثياب حقيقة، وذهب الشافعي وغيره من هذه الآية إلى وجوب غسل النجاسات من الثياب، وقال الجمهور: هذه الألفاظ استعارة في تنقية الأفعال والنفس والعرض، وهذا كما تقول فلان طاهر الثوب، ويقال للفاجر دنس الثوب. (ابن عطية، ١٤٢٢ هـ، صفحة ٢/٣٩٢)

٣. وأيضا قوله تعالى (ولباس التقوى ذلك خير) ، حيث حمله البعض على المجاز ، قال الرازي: ويحمل قوله: ولباس التقوى على المجازات ثم اختلفوا فقال قتادة والسدي وابن جريح: لباس التقوى الايمان. وقال ابن عباس: ولباس التقوى العمل الصالح وقيل هو السمت الحسن وقيل هو العفاف والتوحيد لأن المؤمن لا تبدو عورته وإن كان عاريا من الثياب والفاجر لا تزال عورته مكشوفة وإن كان كاسيا وقال معبد هو الحياء. وقيل هو ما يظهر على الإنسان من السكينة والإخبات والعمل الصالح وإنما حملنا لفظ اللباس على هذه المجازات لأن اللباس الذي يفيد التقوى ليس إلا هذه الأشياء. (الرازي، ١٤٢٠ هـ، صفحة ٢٢٢/١٤)

وقال السيوطي: وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ من طرق عن ابن عباس في قوله {وريشا} قال: المال واللباس والعيش والنعيم، وفي قوله {ولباس التقوى} قال: الإيمان والعمل الصالح {ذلك خير} قال: الإيمان والعمل

خير من الريش واللباس ، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله {لباسا يواري سوآتكم وريشا} قال: هو اللباس {ولباس التقوى} قال: هو الإيمان وقد أنزل الله اللباس ثم قال: خير اللباس التقوى. (السيوطي، صفحة ٤٣٤/١)

٤. ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: «يبعث كل عبد على ما مات عليه» (النيسابوري، صفحة ٢٢٠٦/٤)، ورواية ابن حبان "يبعث كل عبد على ما مات عليه، المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه" (حبان، صفحة ٣٠٤/١٦)،ويوضحه حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «إذا أراد الله بقوم عذابا، أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم». (النيسابوري، صفحة ٢٢٠٦/٤)، وأيضا حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، خر رجل من بعيره، فوقص فمات، فقال: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبيه، ولا تخمروا رأسه، فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبيا». (النيسابوري)

يتبين لنا مما سبق أن قول من لم يحمل الحديث على ظاهره وأوله قول متجه وله أدلته ، وإذا قلنا بهذا انفكت العلاقة المتعارضة بين هذا الحديث وحديث حشر الناس عراة.

إلا أن هذا ليس رأيا مجمعا عليه، فكما فهم أبو سعيد الحديث على ظاهره كذلك فهمه معاذ بن جبل وغيره، وعلى هذا لا بد من النظر في هذه الأحاديث من جهة تعارضها.

القول الثاني: إنهما في موضوع واحد وأن بينهما تعارضا ولا بد من دفع هذا التعارض.

وأصحاب هذا الرأي يرون أن تعارضا يظهر بين حديث حشر الناس عراة، وحديث حشر الناس بثيابهم التي ماتوا عليها ، وقد صرح بذلك كثير من العلماء منهم القرطبي (القرطبي، ١٤٢٥ هـ، صفحة ٥٣٦/١)، والسيوطي حيث قال:" أحاديث الحشر عراة عارضها أحاديث أخر، صرح فيها بأن الناس يحشرون في أكفانهم" (القرطبي، الحاوي للفتاوي، ٢٠٠٤، صفحة ٢٣٨/٢). واختلفوا في كيفية الجمع بين هذه الأحاديث.

١. قال البيهقي: وقد يحتمل أن يبعث في ثيابه التي يموت فيها، ثم تتناثر عنه أو عن بعضهم، ثم يحشر إلى موقف الحساب عاريا، ثم يكسى بعد ذلك من ثياب الجنة" (البيهقي، ١٣٧٩ هـ، صفحة ٥٤٩/١). ونقل عنه ابن حجر قوله :" ويجمع بينهما بأن بعضهم يحشر عاريا وبعضهم كاسيا، أو يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الأنبياء فأول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة ثم يكون أول من يكسى إبراهيم" (العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٣٧٩ هـ، صفحة ٣٨٣/١١)

٢. حمل أحاديث حشر الناس عراة على ظاهرها وحمل حديث أبي سعيد في الشهيد فقط.

ونقل الحافظ في الفتح عن البيهقي قوله:" وحمل بعضهم حديث أبي سعيد على الشهداء لأنهم الذين أمر أن يزملوا في ثيابهم ويدفنوا فيها فيحتمل أن يكون أبو سعيد سمعه في الشهيد فحمله على العموم". (العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٣٧٩ هـ) ونحوه القرطبي في التذكرة قال:" وحمله الأكثر من العلماء– أي حديث أبي

سعيد– على الشهيد الذي أمر أن يزمل في ثيابه ويدفن فيها ولا يغسل عنه دمه ولا يغير عليه شيء من حاله بدليل حديث ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما. قالوا: ويحتمل أن يكون أبو سعيد سمع الحديث في الشهيد فتأوله على العموم". (القرطبي، التذكرة باحوال الموتى وأمور الاخرة، ١٤٢٥ هـ، صفحة ٥٣٦)

واستدل القرطبي لذلك بأدلة نقلية وعقلية حيث قال:" ومما يدل على قول الجماعة مما يوافق حديث عائشة وابن عباس قوله الحق: {ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة} وقوله: {كما بدأكم تعودون} ولأن الملابس في الدنيا أموال ولا مال في الآخرة زالت الأملاك بالموت وبقيت الأموال في الدنيا وكل نفس يومئذ، فإنما يقيها المكاره ما وجب لها بحسن عملها أو رحمة مبتدأة من الله عليها. فأما الملابس فلا غنى فيها يومئذ إلا ما كان من لباس الجنة". (القرطبي، التذكرة باحوال الموتى وأمور الاخرة، ١٤٢٥ هـ، صفحة ٥٣٧)

٣. قال السخاوي: ويمكن الجمع بين بعثهم في أكفانهم، وبين ما ثبت أنهم يحشرون عراة، بأنهم يقومون من القبور بثيابهم، ثم عند الحشر يكونون عراة، على أن البيهقي حمل حديث أن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها. على العمل، ثم جوز على ظاهره الجمع بما قدمته. (السخاوي، ١٩٨٥، صفحة ٩٤)

القول الثالث: الترجيح بينها

ومن العلماء من سلك مسلك الترجيح فرجح أحاديث الحشر في الثياب على أحاديث الحشر عراة، وإلى هذا ذهب أبو حامد الغزالي إلى ظاهر حديث أبي سعيد وأورد الحديث في الدرة الفاخرة فيه زيادة، قال:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بالغوا في أكفان موتاكم فإن أمتي تحشر بأكفانها وسائر الأمم عراة" (الغزالي، ١٩٩٥، صفحة ٣٨). قال ابن حجر: لم أجد لهذه الزيادة أصلا.

وقال القاضي البيضاوي:" العقل لا يأبى حمله على ظاهره حسبما فهم منه الرازي إذ لا يبعد إعادة ثيابه البالية كما لا يبعد إعادة عظامه النخرة؛ فإن الدليل الدال على جواز إعادة المعدوم لا تخصيص له بشيء دون شيء". (البيضاوي، صفحة ٤٣٣/١)

خلاصة الأقوال:

وبالنظر إلى هذه الأقوال وأدلتها فإننا نرجح القول الأول، وهو تأويل الثياب بالأعمال، لما أوردناه من أدلة، وهو فهم كثير من العلماء.

الخاتمة:

في نهاية هذه الدراسة أختم بأهم النتائج التي توصلت إليها:

١– أن أحاديث حشر الناس عراة ، وأحاديث حشر الناس بثيابهم التي ماتوا فيها، منها الصحيح والضعيف، واقتصرنا في هذه الدراسة على الصحيح فقط.

٢- أن العلماء اختلفوا في نظرتهم لهذه الأحاديث إلى أقوال ثلاثة:

- تأويل الثياب في الحديث على الأعمال، بمعنى أنهم يبعثون على أعمالهم التي ماتوا عليها، وقد رجحنا هذا القول لتضافر الأدلة اللغوية والتفسيرية والحديثية عليه.
- الجمع بينها، واختلفوا في وجوه الجمع ، منها: يحشرون عراة إلا الشهداء، ومنها أن بعضهم يحشر عاريا وبعضهم كاسيا، ومنها أنهم يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الأنبياء فأول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومنها أنهم يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر.
- أخذ حديث أبي سعيد على ظاهره وترجيحه على حديث حشر الناس عراة ، ولا مرجح لذلك.

المراجع:

١. ابن ابي شيبة. (بلا تاريخ). *المصنف في الاحاديث والاثار*.

٢. ابن ابي عاصم. (١٤٠٠ هـ). *السنة*. بيروت: المكتب الاسلامي.

٣. ابن ابي ناصر. (بلا تاريخ). *السنة*. بيروت: المكتب الاسلامي.

٤. ابن حبان. (بلا تاريخ). *الصحيح*.

٥. ابن حجر. (١٩٨٦). *تقريب التهذيب*. سوريا: دار الرشيد.

٦. ابن حدبل. (بلا تاريخ). *المسدد*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٧. ابن رجب. (٢٠٠١). *روائع التفسير*. السعودية: دار العاصمة.

٨. ابن زبر الربعي. (١٩٨٦). *وصايا العلماء عند حضور الموت*. بيروت: دار ابن كثير.

٩. ابن عطية. (١٤٢٢ هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٠. ابن فارس. (١٩٧٩). معجم *مقاييس اللغة*. بيروت: دار الفكر.

١١. البيضاوي. (بلا تاريخ). *تحفة الابرار شرح مصابية السنة*. الكويت: وزارة الاوقاف.

١٢. البيهقي. (١٣٧٩ هـ). *شعب الايمان*. الرياض: مكتبة الرشد.

١٣. التوربشتي. (٢٠٠٨). *الميسر في شرح مصابيح السنة*. مكتبة نزار الباز.

١٤. الحاكم. (بلا تاريخ). *المستدرك على الصحيحين*.

١٥. الحاكم. (بلا تاريخ). *المستدرم على الصحيحين*.

١٦. الخطابي. (بلا تاريخ). *معالم السنن*. حلب: المطبعة العلمية.

١٧. الخطيب البغدادي. (بلا تاريخ). *الكفاية في علم الرواية*. المدينة المنورة: المكتبة العلمية.

١٨. الرازي. (١٤٢٠ هـ). *مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير*. بيروت: دار احياء التراث.

١٩. السخاوي. (١٩٨٥). *المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الألسنة*. دار الكتاب العربي.

٢٠. السيوطي. (بلا تاريخ). *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*. بيروت: دار الفكر.

٢١. العسقلاني. (١٣٢٦ هـ). *تهذيب التهذيب*. مطبعة دائرة المعارف النظامية.

٢٢. العسقلاني. (١٣٧٩ هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. بيروت : دار المعرفة.

٢٣. الغزالي. (١٩٩٥). *الدرة الفاخرة في كشف علوم الاخرة*. دمشق: دار الحكمة.

٢٤. القرطبي. (١٤٢٥ هـ). *التذكرة باحوال الموتى وأمور الاخرة*. الرياض: دار المنهاج.

٢٥. القرطبي. (٢٠٠٤). *الحاوي للفتاوي*. بيروت: دار الفكر.

٢٦. النسائي. (١٩٨٦). *السنن الصغرى*. حلب: مكتب المطبوعات الاسلامية.

٢٧. النيسابوري. (بلا تاريخ). *صحيح البخاري*.

٢٨. الهيثمي. (بلا تاريخ). *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*. القاهرة: مكتبة القدسي.

٢٩. حاشية مسدد احمد. (بلا تاريخ).

٣٠. حبيب الرحمن الاعظمي. (١٤٠٣ هـ). *المصنف*. بيروت: المكتب الاسلامي.

٣١. حيدر اباد. (بلا تاريخ). *التاريخ الكبير*. دائرة المعارف العثمانية.

٣٢. شعيب الأرنؤوط. (١٩٩١). *صحيح ابن حبابت بترتيب ابن اللبان*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣٣. شعيب الأرنؤوط. (بلا تاريخ). *الاحسان في تقريب صحيح ابن حيان*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣٤. شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش. (١٩٨٣). *شرح السنة*. بيروت: المكتب الاسلامي.

٣٥. عادل بن يوسف العزاوي احمد بن فريد المزيدي. (١٩٩٧). *ابن ابي شيبة*. الرياض: دار الوطن.

٣٦. عواد. (بلا تاريخ). *تحرير تقريب التهذيب*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣٧. كمال يوسف الحوت. (١٤٠٩). *المصنف في الاحاديث والاثار*. الرياض: مكتبة الرشد.

٣٨. محمد بن عبدالله الزركشي. (١٩٧٠). *لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة*. بيروت: المكتب الإسلامي.

٣٩. محمد زهير الناصر. (١٤٢٢). *صحيح البخاري*.

٤٠. محمد فؤاد عبدالباقي. (١٩٧٥). *الجامع الصحيح*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

٤١. محمد محي الدين عبدالحميد. (بلا تاريخ). *سنن أبي داود*. بيروت: المكتبة العصرية.

٤٢. مصطفى عبدالقادر عطا. (٢٠٠٣). *المستدرك على الصحيحين*. بيروت: دار الكتب العلمية.